



نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2020-11-02

عمان

الأردن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَمْنَاءَ دَعْوَتِهِ وَقَادَةَ أَلْوِيَّتِهِ وَارْضَى عَنَّا وَعَنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

عنوان لقائنا اليوم: نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

أيها الكرام: ربنا جلَّ جلاله لخص الهدف من إرسال محمدٍ صلى الله عليه وسلم إلى البشرية فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

(سورة الأنبياء: الآية 107)

وتعلمون أن هذا الأسلوب؛ النقي مع (إلا) يفيد الحصر، كقولنا: لا إله إلا الله، أي لا معبود يحق إلا إله، أو كقولنا: ليس في الدار إلا فلان، إذاً لا يوجد في الدار كلها إلا فلان من الناس، هذا أسلوب الحصر في العربية؛ نفي مع (إلا)، فعندما يقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) حصر الهدف من بعثته صلى الله عليه وسلم في الرحمة فهو رحمةٌ مهداة، وهذا ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث فقال:

{ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ }

أهدانا الله تعالى نبيه رحمةً لنا، فهو الرحمة صلى الله عليه وسلم، وإن شئت فهو نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

الرحمة التي جاء بها النبي الكريم هي الرحمة العامة

أيها الكرام؛ يقول صلى الله عليه وسلم: كما روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ لَنْ نُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحُمُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَخَذِكُمْ صَاحِبَتَهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامَّةِ {
(أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

أول شيء في مفهوم رحمته صلى الله عليه وسلم أنها رحمة العامة، كلُّ منا رحيم، كل الناس عندهم رحمة، حتى البعيدون عن الله عندهم شيء من الرحمة، يرحم ولده، أحياناً يرحم صاحبه أقرب الناس إليه، يرحم شريكاً له اتفاقاً على شيء، كل إنسانٍ عنده شيء من الرحمة، يرحم به بعض الناس أو بعض الكائنات، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بمفهوم الرحمة العامة، فلما قالوا له: كلنا رحيم، كلنا عندنا رحمة، قال: ليس ذلك بل رحمة العامة، أي أن تكون رحمتك لكل الناس، بل لكل المخلوقات حتى غير البشر، رحمةً بالحيوانات، رحمةً بالجماد، رحمةً بالنبات، هي رحمة العامة، هذا المفهوم الأول.



الإسلام جاء برحمة العامة

يعاني العالم اليوم من رحمة الخاصة، انظروا إلى المفهوم النبوي في رحمة العامة، اليوم تجد أمّةً يرحم بعضها بعضاً، حتى بعض المسلمين اغتروا بهذه الرحمة، يقول لك: هذه البلاد يرحم فيها الضعيف، المسكين، يُخصص راتبٌ للفقير، جميل جداً، يُخصص راتب لمن مات زوجها، يعتنون بكبار السن، هذه رحمة، وأنا أقول: نعم إنها رحمة، لكن هل هؤلاء عندهم رحمة العامة؟ يعني هل يتأثرون عندما تُقصف شعوب بأكملها وتُباد؟ هل يتأثرون عندما يجدون كثيراً من أهل الأرض لا يجدون قوت يومهم، وهم يعيشون في تخمة وعافية؟ لا يتأثرون، فهذه ليست رحمة، عندما تكون الرحمة خاصةً بشعبٍ معين، أو يعرق معين، أو بأقرباءٍ معينين، فهي ليست رحمةً أرادها النبي صلى الله عليه وسلم، وليست رحمةً جاء بها الإسلام، الإسلام جاء برحمة العامة.

من هنا أيها الكرام؛ ورد أيضاً في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَصْعُقُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا يَرْحَمُ، قَالَ: لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَخَذِكُمْ صَاحِبَتَهُ، يُرَحِّمُ النَّاسُ كَافَّةً {
(رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ)

الإنسان يكون عنده فطرة فيها رحمة فيعطيه الله رحمةً من عنده يرحم بها الخلق، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي

لم يقل: ارحموا المؤمنين في الأرض، ولا قال: ارحموا المسلمين في الأرض، ولا قال: ارحموا المطيعين، قال: ارحموا أهل الأرض برحمكم من في السماء، وهذا أوسع مفهوم لرحمته صلى الله عليه وسلم.

اجتماع فضائل الأخلاق في الرحمة

إخواننا الكرام: الرحمة تجمع فضائل الأخلاق كلها؛ اللطيف رحيم، والكريم رحيم، والرفيق رحيم، والمحِبُّ رحيم، والودود رحيم، الرحمة هي أوسع مفهوم في الأخلاق، فالذي يملك صفة الرحمة؛ يُنفق من ماله رحمةً، ويُنفق من وقته رحمةً، ويتسم رحمةً، ويعطي رحمةً، وقد يمنع رحمةً، قال الشاعر:



الرحمة هي تحقيق المصلحة في من ترحمه

ليست الرحمة كلها ليناً، هناك في الرحمة شيء من الحزم أحياناً، الرحمة هي أن تحقق المصلحة في من ترحمه، اليوم إذا مرض ابنك، فقال لك الطبيب: لا بد من أخذ هذا الدواء، فجئت لتعطيه الدواء فبكي، فهل تقول: أنا رحيمٌ به فلن أعطيه الدواء، دعه مرتاحاً، هل هذه رحمة؟ لا، الرحمة أن تصرّ عليه، وأن تعطيه الدواء، وإن كان مرراً لأنك تريد شفاؤه، من هنا نفهم قول إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه قال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ

(سورة مريم: الآية 45)

قد يتبادر إلى ذهن الإنسان أن يكون الكلام: يمسك عذابٌ من المنتقم أو من الجبار، لكنه قال: (عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ) لأن الرحمن تقتضي رحمته أحياناً أن يأتيك بشيء يضرك من أجل مصلحتك الأخرى الدائمة، فالمرض رحمةٌ من الله عز وجل، وأحياناً إذا افتقر الإنسان لشيء فالتجأ إلى الله، فافتقاره رحمة، فالرحمن جل جلاله قد يسوق بعض الشدائد لعباده ليحملهم على طاعته، وينجيهم من عذاب الآخرة، فهو يرحمهم بذلك، فالرحمة مفهومها واسع، أنت قد ترحم ابنك؛ ونسال الله السلامة للجميع، تسمح أن يفتح بطنه وتستأصل الزائدة الدودية منه حتى لا تؤدي إلى التهاباتٍ أعظم في المستقبل، فانت ترحمه، الطبيب يرحم المريض وفي ظاهره إنما يستخدم الإبريق ثم يخطى ودماً تسيل ويداه ملطختان بالدماء لكنه يرحم، فالرحمة ليست دائماً لنا كما يتصور البعض.

رحمة النبي الكريم بأمتة

أحبانا الكرام:

{ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم صلى الله عليه وسلم: { رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي } (إبراهيم: 36)، وقول عيسى صلى الله عليه وسلم: { إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ وَإِنِّي لَهُمْ قَاتِلٌ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (المائدة: 118)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي" وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلُهُ مَا يُبْكِيهِ؟" فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ: وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَرَّضْنَاكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا تَسْؤُوكَ " }

انظروا إلى رحمته صلى الله عليه وسلم، هذه رحمة بالأمة كلها، قال: **أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّي**، حتى بعث الله إليه جبريل عليه السلام فقال له: قل لمحمد **إِنَّا سَتَرْنَا فِي أُمَّتِكَ وَلَا تَشُوُّكَ**، حتى هذا النبي صلى الله عليه وسلم، لما جاءته البشيرة بأن الله سيرضيه بأمته، هذه من رحمته صلى الله عليه وسلم، ربنا عز وجل يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۚ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ

(سورة الأعراف: الآية 156-157)



العذاب في الأصل ليس هدفاً لذاته

(عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) العذاب في الأصل ليس هدفاً لذاته، العذاب هو معالجة، كيف؟ أنت عندما تفتح جامعة وتضع لها نظام عقوبات، فهل هناك عاقل يقول: **أَنْشَيْتُ الجامعة لتعاقب الطلاب؟ بل العاقل يقول: أَنْشَيْتُ الجامعة لُتُخَرِّجَ جيلاً متسلحاً بالعلم والمعرفة، لكن العقوبات ضرورية جداً من أجل استمرار مسيرة الجامعة بالشكل الصحيح، أنت عندما تفقد سيارتك فتجد فيها مكباً تضغط عليه فتتوقف السيارة، فهل تقول: إن السيارة أَنْشَيْتُ من أجل أن تقف؟ السيارة أَنْشَيْتُ من أجل أن تسير، لكن إن كان هناك حادثٌ محتَمٌ فالمكب ضروري لإيقاف السيارة، فالعذاب الإلهي ليس مطلوباً لذاته، والله لم يخلقنا ليعذبنا، قال: (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) وفق الحكمة الإلهية، ما الهدف من الخلق؟ قال: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) وأنا وأنت شيء، اللهم ارحمنا برحمتك، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) وكل ما في الوجود شيء، ورقة الشجر هذه شيء، والنملة شيء، كل ما في الوجود يطلق عليه شيء.**

رحمة الله وسعت كل شيء

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) قد يقول قائل: ما دامت الرحمة وسعت كل شيء فلم يخصصها الله؟ هل هذا يقدر في سعة رحمته؟ أبداً، سأنبئكم بمثل، لو قلت لكم: هذه القاعة فرصاً لتسبع ألف إنسان، واسعة جداً، تسع لألف، لكن الذي يريد أن يدخل إليها ينبغي أن يأتي بطاقة تؤهله للدخول، فذهب ثمانمئة وجاءوا بالبطاقة ودخلوا، ثم جاء المئتان الذين لم يأتوا بالبطاقة فمُنعوا من الدخول، فقال قائلهم: هذه القاعة ضيقة، لا يا أخي القاعة ليست ضيقة، الأمكنة موجودة لكن أنت لم تتعرض لما يؤهلك لدخول القاعة فالمشكلة عندك، فرحمة الله واسعة جل جلاله، لكنه طلب منك بطاقةً لتدخل في تلك الرحمة الواسعة، هذه البطاقة تقتضي منك التقوى، أن تمتنع عن معصية الله، وإن عصيت تتوب حتى تكون موضعين، لا يوجد إنسان لا يخطئ.

{ وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ نَبِيٍّ آدَمَ خَطَاءً، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }

(أخرجه الترمذي)



رحمة الله جلّ جلاله واسعة

(كُلُّ يَبِيٍّ أَدَمَ حَطَاءً) لكن يتقى الله، يخاف الله، نهي الله عنه ليس هيناً، يرتكب المعصية، ويقول: وماذا صنعنا؟ لا (يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) عنده عطاءً للآخرين، يحب الناس، يؤتي مملاً أتاه الله. (وَالَّذِينَ هُمْ يَا آتِنَا يُؤْمِنُونَ): يؤمن بالقرآن الكريم. (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرحمة الله جلّ جلاله واسعة لكن الذين لم يدخلوا في رحمته يتحملون وِزر عملهم، ويتقى رحمة الله واسعة، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ).

رحمة النبي الكريم مع أعدائه

أيها الكرام: النبي صلى الله عليه وسلم كانت رحمته واسعة، بحيث أخذ من رحمة الله تعالى ما جعله يرحم الخلق كلهم، حتى مع أعدائه، والدليل قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ □ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ □ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

(سورة آل عمران: الآية 159)



الرحمة هي سبب لالتفاف الناس حولك

(فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) لأنه ما عندك رحمة، فالناس يتركوك، لكن بسبب الرحمة التفتوا حولك.

رحمة الإنسان لنفسه

الآن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما جاء به من الرحمة جاء برحمة الإنسان نفسه، ألم يقل تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

(سورة التحريم: الآية 6)

هذه رحمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء برحمة الإنسان نفسه أولاً، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وفي حديثٍ آخر: إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا.

{ آخى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فزار سَلْمَانُ أبا الدَّرْدَاءِ، فرأى أُمَّ الدَّرْدَاءِ متبَدِّلَةً، فقال: ما شَأْنُكِ متبَدِّلَةً؟! قالت: إِنَّ أَخَاكَ أبا الدَّرْدَاءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنْيَا. قال: فلَمَّا جاء أبو الدَّرْدَاءِ، قَرَّبَ إليه طَعَامًا، فقال: كُلْ، فَإِنِّي صائمٌ. قال: ما أنا بِأَكَلٍ حتى نَأْكُلَ. قال: فأَكَلْ، فلَمَّا كان الليلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ ليقومَ، فقال له سَلْمَانُ: تَمْ، فنام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقومُ، فقال له: تَمْ، فنام، فلَمَّا كان عندُ الصُّبْحِ، قال له سَلْمَانُ: فَمِ الآنَ، فقاما فصلَّيَا. فقال: إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِصَيفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَا ذَلِكَ؟ فقال له: صدَقَ سَلْمَانُ {

(صحيح الترمذي)

فكان يقول: أقومُ وأنا مُ، وأصومُ وأفطرُ، وأتزوَّجُ النَّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي، فالنبي صلى الله عليه وسلم أول ما سنَّ من الرحمة أن ترحم نفسك، فما أراد أن تُعذب نفسك

{ إِنَّ رَهْطًا من الصَّحَابَةِ ذهبوا إلى بيوتِ النَّبِيِّ يسألونَ أزواجَهُ عن عبادتِهِ فلَمَّا أُخبروا بها كاتَّهَمَ تَقَالُوهَا أي: اعتبروها قليلةً ثُمَّ قالوا: أين نحنُ من رسولِ اللَّهِ و قد عَفَرَ اللَّهُ له ما تقدَّم من ذنوبِهِ و ما تأخَّرَ؟ فقال أحدهمُ: أما أنا فأصومُ الدَّهْرَ فلا أفطرُ وقال الثَّانِي: وأنا أقومُ اللَّيْلَ فلا أنامُ وقال الثَّالِثُ: وأنا أعتزُّلُ النَّساءَ فلَمَّا بلغ ذلك النَّبِيُّ قال لهم: إِنَّمَا أنا أعلمُكم باللَّهِ وأخشاكم له ولكنِّي أقومُ وأنا مُ وأصومُ وأفطرُ وأتزوَّجُ النَّساءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي {

(أخرجه البخاري)

{ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قائمٍ، فسألَ عَنْهُ فقالوا: أُوَّ إِسْرَائِيلَ تَدْرُ أَنْ يَقومَ في الشَّمْسِ وَلَا يَغْدُو، وَلَا يَسْتَطِلُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ، وبصومِهِ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَطِلِّ وَلْيَغْدُو وَلْيُمِّمْ صَوْمَهُ {

(رواه البخاري)

عندما تفرض المشقة على الإنسان يكون أجراها أكبر



الأجر على قدر المشقة

أحبنا الكرام: الأجر على قدر المشقة، عندما تكون المشقة مفروضة عليك، كيف؟ أنت في سفر، ونزلت في استراحة، وكادت الشمس تشرق، ولا بد أن تصلي الفجر، وكان الجو بارداً، والماء يكاد يتجمد، فقلت: والله لن أفوت الفجر، سأتوضأ وأصلي، فتوصّات رغم برودة الماء، وشعرت بالبرد، الآن تثاب على قدر مشقتك، ثوابك أعظم، لكن لو أنك استيقظت في بيتك، هنا في عمان، وكان لديك صنبوران من الماء واحد بارد، وواحد ساخن، وقلت سأتوضأ بالبارد ليكون الأجر أعظم، لا، الأجر نفسه لا تعذب نفسك، خذ الماء الساخن الموجود، لو فرضت عليك المشقة فالأجر أعظم، لكن عندما يكون الأمر متاحاً فالله تعالى يريدك أن تأخذ من الدنيا التي أباحها لك، هذا الفرق بين الأجر على قدر المشقة عندما تُفرض المشقة، أو عندما لا تُفرض فينبغي أن آخذ بالأيسر، وفي الحديث:

{ مَا خَيْرُ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَحَدٌ أَيْسَرُهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا اتَّقَمَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ {

(رواه البخاري)

ما دام مُباحاً لا يوجد أي مشكلة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يوم كان في سفر وقام وأفطر أمام الناس لأن الصيام كان متعباً، والسفر طويل، والجو حار، لكن النبي صلى الله عليه وسلم وقف وأفطر أمام الناس، فبلغه أن بعض الناس قد بقوا صائمين، نريد أن نبقي صائمين لا نريد أن نفطر، بعد أن سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفطر، فقال صلى الله عليه وسلم:

{ أَوْلَيْكَ الْغُضَاءُ، وَأَوْلَيْكَ الْغُضَاءُ }

(صحيح مسلم)

هؤلاء يعصون الله بصيامهم، لأن الجو حار، والسفر بعيد، والنبي صلى الله عليه وسلم وهو المشترع بأمر الله تعالى أفطر وأنت تريد أن تتابع صيامك، تظن أنك بذلك توجر، فالنبي صلى الله عليه وسلم يفطر رحمة النفس؛ أن يرحم الإنسان نفسه في سلم الأولويات، تعطي لبدنك حقه، تعطي لنفسك حقه، تعطي لكل ذي حق حقه، هذه الأولى.

الرحمة بالأهل

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قد سنَّ الرحمة بالأهل، قال صلى الله عليه وسلم:

{ اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا }

(متفق عليه)

{ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ {

(أخرجه مسلم)

{ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي سَيِّئٍ إِلَّا رَأَتْهُ، وَلَا يُنْرَعُ مِنْ سَيِّئٍ إِلَّا سَأَتْهُ {

(أخرجه مسلم)

فالرفق مع الأهل، التعامل مع الزوجة والأولاد، أن يكون الإنسان رقيقاً إذا دخل، يسلم على زوجته وعلى أهل بيته، هذا من سنّته صلى الله عليه وسلم في الرفق. كان النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح؛ تقول عائشة وقد كانت صغيرة في السن:

{ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَنُونَ يَجْرَاهِمُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتُرْنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِينِهِمْ ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا اللَّيِّ أَنْصُرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْخَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً عَلَى اللَّهِ {

(صحيح مسلم)



الرفق مع أهل البيت

هي تحب أن تشاهد هذا الأمر، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف وهو قائد الأمة وفي ذهنه ما في ذهنه من هموم الأمة، لكنه يحرص على عائشة، فيضع لها الستار لتقوم وتنظر إلى الحبشة، وهم يلعنون يجراهم في مسجد رسول الله، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْخَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً عَلَى اللَّهِ، وهذا يشمل الزوجة إن تزوج الإنسان زوجة صغيرة، ويشمل الجارية في بيتك سواءً كانت ابنتك، أو كانت خادمة تجرّس على بعض اللهو، فلا تعاملها بما تعامل به نفسك، أنت قد مللت اللعب واللهو ربما في رأسك من الأعباء الكثر، لكن هي لها ذلك، فقال: فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْخَدِيثَةِ السِّنِّ حَرِيصَةً عَلَى اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أيضاً من رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرحمة بالأطفال:

{ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: نُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ تَرَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ {

أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح:

{ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةَ بِنْتِ رَبِثَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا سَجَدَ وَصَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا }

(صحيح أبي داود)

وهو في الصلاة يحمل أَمَامَةَ بِنْتِ رَبِثَةَ حفيدته رضي الله عنها، فكان إذا كبر وضعها، إذا أراد أن ينزل وضعها فإذا قام حملها صلى الله عليه وسلم. يقول صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح:

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِتَيْتُ لَأَقُومَ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّيْبِ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ }

(صحيح أبي داود)

يريد أن يناجي ربه وأن يقرأ الصفحات والآيات وطول في الصلاة، فهذا أحب شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّيْبِ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي، أُسْرِعُ فِي صَلَاتِي، مَخَافَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ، أُمُّ تَصْلِي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيْعَهَا بَدَأُ بِيْكِي، وَبِصَعْبِ عَلَيْهَا أَنْ تَسْمَعَ بُكَاءَهُ وَلَا تَجِيْبَهُ، فَرَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَضْحِي بِغَيْطِهِ وَسُرُورُهُ بَيْنَ يَدَيْ ربه، لَنَلَا يَشُقُّ عَلَى أُمِّ تَسْمَعُ بُكَاءَ صَغِيرِهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ فَيُسْرِعُ فِي صَلَاتِهِ لِيُمْكِنَهَا مِنْ رَضِيْعِهَا.

الرحمة بالخدم

أيضاً من رحمته صلى الله عليه وسلم رحمته بالخدم، الخادم أحياناً الكرام؛ جعله الله تحت يدك ومثل الخادم موظفٌ ضعيفٌ عندك، عاملٌ بسيطٌ جئت به ليعمل شيئاً في بيتك، يلحق بالخدم أي عامل أو أي موظف بسيط ضعيف، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِذَا جَاءَ خَادِمٌ أَحَدِكُمْ يَطْعَامِهِ فَلْيُعْجِزْهُ مَعَهُ أَوْ لِيُتَاوَلْهُ مِنْهُ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي وَلِيَتْ حَرَّتَهُ وَدُخَانَهُ }

(سنن ابن ماجه)

جعل النبي صلى الله عليه وسلم لك خيارين، أحياناً يكون بسبب معين، العائلة مع بعضها، أو أحياناً بطبيعة الخادم، ما ألزمتك أن تجلس معك، إما أن تقعد معك وهذه بعض الأحيان ممكنة، إذا ما استطعت قال: فليناوله منه، أعطه شيئاً من الطعام، قال: فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي وَلِيَتْ حَرَّتَهُ وَدُخَانَهُ، انظر إلى هذه اللفتة العظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني هو عانى من حر الطعام، وهو يصنعه، والدخان خرج، والرائحة شمها، ثم تجلس وتأكل وهو يبقى بلا طعام، هذه من رحمته صلى الله عليه وسلم.



رحمة النبي الكريم بالخدم

أيضاً من رحمته بالخدم ما رواه ربيعة الأسلمي قال: كُنْتُ أُخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: أَلَا تَزُوجُ؟ نَرِيدُ أَنْ نَزُوجَكَ يَا رَبِيعَةَ، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزُوجَ، مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، مَا عِنْدِي التَّكَالِيفُ لِاتِّزَاجٍ، وَمَا أَجِبُ أَنْ يَسْعَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ، الزَّوْجُ قَدْ يَشْعَلُنِي عَنْكَ، فَأَعْرَضَ عَنِّي فَخَدَمْتُهُ مَا خَدَمْتُهُ، رُبَّمَا أَسَابِعُ أَوْ سِنَةٌ، ثُمَّ قَالَ لِي الثَّانِيَةَ: أَلَا تَزُوجُ؟ قُلْتُ: مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ الْمَرْأَةَ، وَمَا أَجِبُ أَنْ يَسْعَلَنِي عَنْكَ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ: وَاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُصَلِّحُنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَغْلَمُ مِنِّي، يَعْنِي لَعْنِي أَسَاتِ الْأَدَبِ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَزُوجَنِي وَهَذَا صِلَاحٌ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، فَهُوَ أَغْلَمُ بِمَا يُصَلِّحُنِي، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ قَالَ لِي تَزُوجُ لَأَقُولَنَّ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أَعَادَهَا فَسَأَقُولُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرِّبِي بِمَا سَبَّحْتُ، فَقَالَ: يَا رَبِيعَةَ، أَلَا تَزُوجُ؟ قُلْتُ: بَلَى مُرِّبِي بِمَا سَبَّحْتُ، قَالَ: أَنْتَ طَلِيقٌ إِلَيَّ الْفُلَانِ، بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنْتَ طَلِيقٌ إِلَيَّ الْفُلَانِ فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فَلَانَةً، قَالَ فَذَهَبْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فَلَانَةً فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِحَاجَتِهِ، قَالَ: فَزَوِّجُونِي وَالطُّفُونِي، كَانُوا لَطْفَاءً مَعِيَ وَاسْتَجَابُوا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحِبَانًا هَذَا الْمُوظَّفُ أَوْ الْخَادِمُ أَنْتَ ذُو جَاهٍ، عِنْدَكَ جَاهٌ مَعِينٌ بِمَكْنٍ أَنْ تَسْتَعْمِدَهُ لَهْ فِي زَوْجٍ، أَوْ أَنْ تَسَاعِدَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَجْلِ زَوْجِهِ، أَوْ أَنْ تُمِدَّهُ بِزِيَادَةٍ فِي الرِّائِبِ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَقِيمَ بَيْتَهُ، الْإِنْسَانُ الْعَادِي الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ رَحْمَةٌ يَقُولُ لَكَ: دَعَهُ عَامِلٌ بِسَبْطٍ إِذَا زُوجَ غَدًا يَقْضِرُ فِي الْأَعْيَاءِ الَّتِي هِيَ عَلَيْهِ، دَعَهُ بِزَوْجَةٍ، الرَّحِيمُ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ: لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْتَكِ الزَّوْجَةَ يَحْصِنُهُ مِنَ الْحَرَامِ، لَعَلَّهُ يَحْصِنُهُ مِنَ الْوَقُوعِ فِي الْفَوَاحِشِ، فَيَسَاعِدُهُ فِي زَوْجِهِ.

الرحمة بالضعفاء

من رحمته صلى الله عليه وسلم رحمته بالضعفاء، كان صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ابغوني الضعفاء، فإنما تُنصرون، وتُزرقون بضغائنكم }
(رواه أبو داود)



الرزق محض فضل من الله

أعطوني الضعفاء، أريد الضعفاء، قال: فَإِنَّمَا تُنصَرُونَ، وَتُزْرَقُونَ بِضَغَائِنِكُمْ، لَا تَنْظُرُ أَخِي الْغَيْبِ أَنْ اللَّهُ إِنَّمَا يَرْزُقُ بِحِيلَتِكَ أَوْ بِدِهَانِكَ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ الرِّزْقُ بِالْحِيلَةِ وَالِدِهَانِ وَالتَّجَارَةِ وَالشُّطْرَةِ، لَكَانَتِ الْبِهَائِمُ عَافَاكُمُ اللَّهُ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الرِّزْقِ، إِذْ لَيْسَ عِنْدَهَا حِيلَةٌ فِي شَيْءٍ، وَلَكَانَتِ الطَّيْرُ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الرِّزْقِ، لَكِنِ الرِّزْقُ أَبَدًا لَيْسَ بِالْحِيلَةِ، الْحِيلَةُ أَسْبَابٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْطِيهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لَكِنِ الرِّزْقُ هُوَ مَحْضُ فَضْلِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنْسَانٌ عِنْدَمَا يَنْصُرُ الضَّعْفَاءَ، بِمَدِّ يَدِ الْعَوْنِ لَهُمْ بِمَا يَسْتَطِيعُ، الْآنَ يَرْزُقُهُ اللَّهُ بِهِمْ، لَا تَدْرِي بِمَنْ تَرْزُقُ بِضَعْفِ أِكْرَمَتِهِ، بِقَبْرِ أَعْطَيْتَهُ، بِطَالِبِ مَكْتَبَةٍ مِنْ مَتَابَعَةِ دِرَاسَتِهِ، بِبَيْتِ ابْتِسَامَتِهِ فِي وَجْهِهِ، وَأَعْطَيْتَهُ قِطْعَةً مِنَ الْحَلْوَى، لَا تَدْرِي كَيْفَ يَرْزُقُكَ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا تُنصَرُونَ وَتُزْرَقُونَ بِضَغَائِنِكُمْ.

أريد أن أضيف شيئاً للنصر بالضعفاء، النصر بالضعفاء له قانون وضعي أرضي ألا تسمعون اليوم في الإعلام تمتين الجبهة الداخلية، يعني من أسباب النصر أن تكون الجبهة الداخلية متينة حتى لا يستطيع الأعداء خرقها، عندما يُنصر الضعفاء تقوى الجبهة الداخلية، تُمتن، يصح التسيج واحداً للمجتمع، هذا أيضاً من أسباب النصر.



النبي الكريم نشر الرحمة في ربوع الأرض كلها

أيها الكرام: رحمته صلى الله عليه وسلم لا تكفي لها محاضرات ولا خطاب لسنوات حقيفةً من غير مبالغة، لأنه نشر الرحمة في ربوع الأرض كلها، كان من رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان يرحم الحيوان، البهائم العجاوات، البهائم التي لا تنطق، كان يرحمها، كان يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلْيُجِدْ أَعْدَاكُمْ سَفَرْتَهُ، وَلْيُرِخْ دَبْحَتَهُ }
(رواه مسلم)

وقد رأى رجلاً يذبح شاةً أمام أختها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

{ أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَيْنِ؟ هَلَّا حَذَوْتَ سَفَرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضَجِّعَهَا؟ }
(أخرج الحاكم)

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أُرَدِّقُنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسْرَرْتُ إِلَيَّ حَبِيبًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَنَّتْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ تَحْلِي، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ سَكَرَ إِلَيَّ أَلَّا تُجِيعَهُ وَتُدْبِتَهُ }
(رواه أبو داود)

الجمال يبكي لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من معجزاته هو من المعجزة من حيث إنه شكك للنبي، لكن من حيث الواقع الجميل يحس ويشعر، قال الشاعر العربي:
هذا ما قاله عنترة بن شداد قبل الإسلام، كانوا يشعرون بالخيل وحتى بالناقة والجمال، لكن مع النبي صلى الله عليه وسلم يُضاف لها المعجزة الربانية، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليه فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، مسح له عينه، فَقَالَ: من صاحب هذا الجمال؟ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ سَكَرَ إِلَيَّ أَلَّا تُجِيعَهُ وَتُدْبِتَهُ، فتبعه وتتعبه، فهذه رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوانات العجاوات.

{ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ جِدْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي فِي الْخُطْبَةِ، فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبَرُ، سَمِعْنَا لِلْجِدْعِ مِثْلَ صَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى تَرَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْصَعَهُ بِدَعْنِهِ فَسَكَنَ }

(رواه البخاري)

يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

{ هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }

(صحيح مسلم)

الإسلام لم يأت للحروب بل جاء رحمة للعالمين

ويوم دخل مكة فاتحاً وكادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بغيره تواضعاً لله تعالى قال: ما تظنون أي فاعل بكم؟ قالوا: أتح كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

{ روى ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَتَصَرَّ عَيْدُهُ، وَهَرَمَ الْأَخْرَابَ وَحَدَّهُ، إِلَى أَنْ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوُّنَ أَتَيْ فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: حَيَّرَا، أَحْ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَحْ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَاقُ }

قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه دأره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، قال بعضهم: اليوم يوم الملحمة، قال: بل اليوم يوم الرحمة، اليوم يوم الرحمة ليس يوم الملحمة، لن يكون هناك النحام، النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يحب الحرب، لكن الحرب كانت تفرض على المسلمين فرضاً، هذا الفرق بين من يحبون الحرب اليوم وينشرون الدمار في كل يوم ثم يتهمون المسلمين بأنهم يسعون للحرب، ما ورد أبداً أن النبي صلى الله عليه وسلم قاد حرباً حياً في الحرب، لما فتحت مكة عليه من غير حرب آمن الناس جميعاً، إلا أربعة الذين كانوا يعني قد أسأفوا للإسلام إساءة بالغة، حتى عكرمة بن أبي جهل يوم رجع إليه مسلماً بعد أن كان يريد أن يهرب آمنه صلى الله عليه وسلم، حتى وحشي بن حرب الذي قتل عمه أمته وقال له: لا تريني وجهك، لا أستطيع أن أراك، ولكن أمته.



من طبيعة الحياة أن الحروب فيها مفروضة

النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب حرباً، ولا الإسلام جاء لحرب، لكن طبيعة الحياة أن الحروب فيها مفروضة، وإنك إما أن تحارب وإما أن تحارب، فيوم كنا نحارب كنا ننشر الخير في أصقاع الأرض، ويوم كنا نحارب كنا رحمة للعالمين بما جاء به نبينا رحمة للعالمين، ويوم أصبحنا نحارب أصبحت الدماء في الشوارع، يوم كنا نحارب ما كانت الدماء في الشوارع، يوم فتح المسلمون القدس بقيادة صلاح الدين الأيوبي أحد الفرنجة يقول: والله ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منهم، والله خرجنا بامتعتنا فما أخذوا منا شيئاً، لا قطعوا شجراً ولا قتلوا ولداً، صلاح الدين يقف مع امرأة نصرانية يبحث لها عن ابنها يوقف الجيش كاملاً حتى أعاد إليها ابنها، طبيعة الحياة أن فيها معركة، الذي يريد أن يعيش في عالم وردي، العصفير تفرق والسماء مشرقة هذا لا يفقه حقيقة الحياة، إما أن تحارب وإما أن تحارب، هذه طبيعة الحياة، يوم حاربنا ملأنا الأرض عدلاً وقسطاً، ويوم حاربوا هم واستضعفونا ملؤوا الأرض ظلاماً وجوراً وقهراً.

الرحمة ليست ضعفاً، وليست ليناً، وأريد هنا أن أعقب على شيء الآن جائي خاطر، أين جاءت آية (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءًا لِّقَوْمٍ غَائِبِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
(سورة الأنبياء: الآية 105-106-107)



هدف المعركة هو نشر الرحمة في الأرض (الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) هناك معركة، ولكن هذه للعالمين جميعاً حتى لا يستضعف إنسانٌ إنساناً، وحتى لا يُمنع إنسانٌ من عبادة الله، وحتى لا يتحكم الطواغيت بالعباد كما نرى اليوم، وحتى لا تصبح مقدساتنا عُرضة للإبذاء، هذه هي الحرب في الإسلام، هذا هو مفهوم الجهاد من أجل أن تُصان الحقوق والأعراض والكرامات للمسلم ولغير المسلم.

{ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ

مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا }

(صحيح البخاري)

غير المسلم يتنعم بأمن الإسلام قبل أن يتنعم به المسلم، هو ليس عليه جهاد، ففرض عليه الجزية ويحمى من كل مكروه، قبل أن يتنعم المسلم بأمن الإيمان وأمن الإسلام، فعقب هذا التعقيب الأخير لأبين أن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم لا يتناقض ذلك أبداً مع أن هناك جهاداً في سبيل الله، ومع أن هناك مقاطعةً لمن أساءَ لديننا، وأنت لا ترضى الدنيا في ديننا، ومع أننا لا نقبل أن نُساءَ إلى ديننا، ولا إلى نبينا، هذه عزة المسلم، وهذه رحمة أيضاً لأنه يريد الخير للناس فلا ينبغي أن يتعرض للإبذاء، فيُمنع من نشر الخير في الأرض، هذا مفهوم الرحمة وهذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

والحمد لله رب العالمين.